

التَّنَاصُّ الدِّينِي فِي شِعْرِ يَوْسُفِ النَّبْهَانِي.

Religious Intertextuality in the Poetry of Youssef Al-Nabhani

*الجرادات بركات

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، (الجزائر)، barakat.aljaradat.etu@univ-mostta.dz

مخبر الدّراسات اللّغوية والأدبيّة في الجزائر من العهد التّركي إلى نهاية القرن العشرين.

د. قاضي الشيخ

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، (الجزائر)، kadiadab@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/27

تاريخ القبول: 2024/12/26

تاريخ الاستلام: 2024/10/26

ملخص: تهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن مشاهد التَّنَاصِّ الدِّينِي فِي شِعْرِ يَوْسُفِ النَّبْهَانِي كمشاهد تتجلى في شعر المديح وحبّ الذات الإلهيّة ورسول الله ﷺ وأولياء الله الصّالحين، إذ يندرج التَّنَاصُّ في هذا النوع من الشعر تحت التَّنَاصِّ الدِّينِي، وتُعَدُّ ظاهرة المديح الإلهي والنّبوي من أقرب الظواهر إلى العاطفة الوجدانيّة الإنسانيّة المتعلّقة بحُبِّ الله تعالى ورسوله وأوليائه الصّالحين، وأكثرها إثارة، إذ إنّ هذه الظاهرة ليست حديثة؛ بل قديمة مُتجدّدة، وقد زاد مُريدوها في القرن الأخير بسبب انتشار الفتن والرّغبة في اعتزال النّاس تحبّبا للفتن من جهة، والتّقرّب إلى الله بحبه والتّذلّل إليه من جهة أخرى، ولذلك وجدنا مشاهد التَّنَاصِّ الدِّينِي فِي قصائد النَّبْهَانِي المعبرة عن المديح تتناول حبّ الله تعالى، ورسوله ﷺ وأولياء الله الصّالحين، وقد اتّخذت ألوانا عدّة، كقصائد في مدح الذات الإلهيّة، ومدح رسول الله ﷺ، ومدح أولياء الله الصّالحين، وجاء التَّنَاصُّ الدِّينِي مع القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ.

كلمات مفتاحيّة: التَّنَاصُّ، التَّنَاصُّ الدِّينِي، المديح، يَوْسُفِ النَّبْهَانِي، أنواع التَّنَاصِّ.

Abstract: This study aims to reveal the scenes of religious intertextuality in the poetry of Youssef Al-Nabhani as scenes that are manifested in the poetry of praise and love of the divine self, the Messenger of God, peace and blessings be upon him, and the righteous saints of God, as intertextuality in this type of poetry falls under religious intertextuality, and the phenomenon of divine and prophetic praise is considered one of the closest phenomena to the human emotional sentiment related to the love of God Almighty, His Messenger, and His righteous saints, and the most exciting, as this phenomenon is not modern; Rather, it is an ancient and renewed tradition, and its followers have increased in the last century due to the spread of seditions and the desire to isolate oneself from people to avoid seditions on the one hand, and to draw closer to God through His love and humility to Him on the other hand. Therefore, we find scenes of religious intertextuality in Al-Nabhani's poems expressing praise, dealing with the love of God Almighty, His Messenger, may God bless him and grant him peace, and the righteous friends of God. It has taken on many forms, such as poems praising the Divine Essence, praising the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and praising the righteous friends of God. Religious intertextuality came with the Holy Qur'an and the hadiths of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace.

Keywords: intertextuality, religious intertextuality, praise, Youssef Al-Nabhani, types of intertextuality.

*المؤلف المرسل: الجرادات بركات. الإيميل: barakat.aljaradat.etu@univ-mostta.dz

1 المقدمة

تتمحور هذه الدّراسة حول ظاهرة التَّنَاصِّ الدِّينِي فِي شِعْرِ يَوْسُفِ النَّبْهَانِي، الَّذِي نَسَجَ الْقَصَائِدَ فِي مَدَحِ الذَّاتِ الإلهيّة والرّسول ﷺ، وأولياء الله الصّالحين، إذ تجمع الدّراسة الشّواهد الدّالة على التَّنَاصِّ الدِّينِي فِي شِعْرِ المديح وعباراته الّتي انتشرت في نايّا شعره بتأثير من الآيات القرآنيّة، والأحاديث النّبويّة، والشّعراء السّابقين له الَّذين نسجوا القصائد الكثيرة في مدح الله تعالى

ورسوله ﷺ وأوليائه الصالحين، وقد تناولت هذه الدراسة مفهوم التناص وأنواعه باختصار، ثم تناولت الحياة المختصرة للشاعر يوسف النبهاني، ثم تناولت بشيء من الإسهاب تحليل النصوص الشعرية واستخراج ما فيها من تناص ديني، واختتمت الدراسة بالنتائج والتوصيات، واتبعت المنهج الاستقصائي التحليلي في البحث، كما حاولت الإجابة عن السؤال المطروح: ما مدى انتشار التناص الديني في شعر يوسف النبهاني المختص بالمديح الإلهي والتبوي؟

وهدفَت الدراسة إلى التوصل إلى حل هذه الإشكالية من خلال عرض النصوص الشعرية في شعر يوسف النبهاني وتحليلها، والكشف عن غزارة إنتاجه في الشعر الديني — وخاصة المديح — وما فيه من تناص مع القرآن الكريم والحديث الشريف.

1.2: التمهيد

تُعَدُّ ظاهرة التناص، من ظواهر الأدب التي كادت تبرز في كل فنونه، وعلى رأسها الشعر، وهي إن كانت امتداداً لظواهر أدبية أسلوبية بلاغية قديمة في الأدب العربي، إلا أنها أخذت صورة أوضح، وتفرعات أكثر في الأدب العربي الذي أنتج هذه الظاهرة، فقد لفتت انتباه الناقد الروسي (ميخائيل باختين) ظاهرة تشابه النصوص القديمة والحديثة، فأطلق عليها مصطلح حوارية النصوص، وذلك من خلال تعمقه في دراسة نصوص الفيلسوف الروسي (فيدور دوستوفسكي)، مبرزاً هذه الظاهرة في كتابه (شعرية دوستوفسكي)، وجاءت الناقدة البلغارية (جوليا كريستيفا) التي درست ظاهرة التعانق النصي بين النصوص، فتوصلت إلى ظاهرة التناص بمفهومها الحالي، وبحثتها بحثاً مستفيضاً في كتابها (علم النص)¹.

2. التناص الديني في شعر يوسف النبهاني

1.2. مفهوم التناص:

عرّفت كريستيفا التناص بأنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتناق ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى، مما يعني إعادة توزيع النص القديم في نص جديد بشكل مباشر مع تغيير طفيف، أو بإشارات محدّدة، من خلال الامتصاص²، أو التحوير³، أو التصحيف^{4 5}.

وعرّفه الناقد الروسي (ميشال ريفاتير) بأنه مجموعة النصوص التي نجد بينها وبين النص الذي نحن بصدده قراءة، وهو مجموع النصوص التي نستحضرها في ذاكرتنا عند قراءة مقطع معين⁶.

2.2 التناص في الأدب العربي

من خلال تتبع نشأة التناص كمصطلح نقدي غربي تبين أن أول ظهور له في سنة 1966م على يد الناقدة الأدبية جوليا كريستيفا التي أشارت إلى أصوله الغربية من خلال ذكرها لنظريات علم النص التي وُجدت في دراسات الفيلسوف دوستوفسكي⁷، إلا أن الأصول الأولى لنظرية التناص قد ظهرت عند الناقد الروسي (ميخائيل باختين) الذي أسس له في كتابه (شعرية دوستوفسكي) ثم حوّلته إلى نظرية حقيقية تعتمد على التداخل القائم بين النصوص وسماء الحوارية أو المبدأ الحوارية⁸.

ومع وضع نظريات التناص التي تناولتها كريستيفا أصبح مفهوم التناص أحد المفاهيم الرئيسة في النقد الحديث، وقد استمد قيمته النظرية من كونه يقف ماثلاً في مجال الشعر الحديث كنقطة تلاق في التحليل النبوي للنصوص الأدبية جميعها وعلى رأسها

الشَّعر، لذلك تبارى النُّقَّادُ العَرَبِيُّونَ بحثًا في التَّنَاصِّ كمصطلحٍ نقديٍّ بارزٍ في العصر الحديث، إلَّا أنَّه عندَ بعضهم لم يكنْ بمسماهُ الَّذِي اعتمدته كريستيفا، ومن هؤلاء النُّقَّاد: (دوستوفيسكي، ميخائيل باختين، أرنفي، وغيرهم)⁹.

يُعدُّ دوستوفيسكي أوَّلَ مَنْ استعملَ مُصطلحَ تحاورِ النُّصوصِ الَّذِي يعتمدُ على تداخلِ النُّصوصِ اللاحقة مع نصوصٍ سابقة لها لفظًا ومعنى، وقد تناولَ دوستوفيسكي التَّعَالُقَ النَّصِّيَّ في دراساته، وأشارت كريستيفا إلى دورِ الرِّوايةِ في محاورِ النُّصوصِ وعلاقتها بالتَّنَاصِّ الَّذِي سمَّته بهذا المسمَّى¹⁰.

وجاء بعده (دوستوفيسكي) ميخائيل باختين أحدَ الشُّكْلَانِيَيْنِ الرُّوسِ الَّذِي وضعَ أُسسًا للحواريَّة، ويُشيرُ مفهومُ الحواريَّةِ إلى تداخلِ النُّصوصِ الشَّعريَّةِ بحيثُ يُحِيلُ المدلولَ الشَّعريَّ إلى مدلولاتٍ خطائيَّةٍ مغايرة، بشكلٍ يمكنُ معه قراءةُ خطاباتٍ عديدةٍ داخلَ القالبِ الشَّعريِّ، ونشرَ باختين مقدِّمته حولَ الحواريَّةِ في كتابه (شعريَّة دوستوفيسكي)¹¹.

2.3: التَّنَاصُّ في الأدبِ العربي

أكمل النُّقَّادُ العربُ مسيرةَ سابقِيهم من النُّقَّادِ الشَّرْقِيِّينَ والغَرَبِيِّينَ في دراسةِ التَّنَاصِّ، بعدَ أن راجعوا الأبحاثَ والمقالاتِ الَّتِي نشرها نقَّادُ الغربِ في القرنِ الفائتِ، فمنهم مَنْ واكب هؤلاء النُّقَّادَ والباحثين، وناقش آراءهم وربطها بآراءِ النُّقَّادِ المسلمين الأوائل، ومنهم مَنْ رأى أنَّها مجردُ مُصطلحاتٍ متعدِّدةٍ لمصطلحٍ أساسيٍّ وضعه العلماءُ المسلمون، فبرزَ من النُّقَّادِ والباحثين العربُ حديثًا العشراتُ، ولكنْ كانَ من أبرزهم النَّاقدُ المغربي (محمد بنيس) الَّذِي يُعدُّ أوَّلَ مَنْ استفادَ من البحوثِ الغربيَّةِ المتعلِّقة بالتَّنَاصِّ، إذ جمعَ ما ناقشه ودرسه في مقالٍ مُفصَّلٍ بعنوانِ (النَّصُّ الغائب).

وقد قام بنيس ومَنْ سارَ على طريقه في دراسةِ التَّنَاصِّ، بعدَ تأثرهم بالثقافةِ الغربيَّة، وانطلقوا في دراستهم للمصطلحِ النَّقديِّ هذا من دراسةِ النَّصِّ عندَ كريستيفا والنُّقَّادِ الغربيِّينَ الَّذِيْنَ جاءوا قبلها أو بعدها كالشُّكْلَانِيَيْنِ الرُّوسِ، والنُّقَّادِ الفرنسيِّينَ، ودُعِيَتِ الحَقبةُ الَّتِي تناولتْ تلكَ الدِّراساتِ بالحَقبةِ البَنِيويَّةِ لأنَّ النَّصَّ يُعدُّ من أهمِّ ركائزِ البنية اللُّغويَّة¹².

أمَّا النَّاقدُ الجزائري (عبدُ الملك مرتاض) فقد ألَّفَ كتابًا في النَّصِّ الأدبيِّ اسماءُ (نظريَّة النَّصِّ الأدبيِّ)، وقدَّم فيه دراسةً مستفيضةً حولَ التَّنَاصِّ فتحدَّثَ في الفصلِ الخامسِ باستفاضةٍ عن مساراتِ مفهومِ التَّنَاصِّ عندَ العربِ، معتبرًا أنَّ أبا الحسنِ ابنَ طباطبا العلوي هو أوَّلُ مَنْ تحدَّثَ في نظريَّةِ التَّنَاصِّ من خلالِ مشروعٍ نظريٍّ متكاملٍ لنظريَّةِ التَّنَاصِّ، ويُعدُّ المؤسِّسَ الحقيقيَّ لنظريَّةِ التَّنَاصِّ الَّتِي توصَّلتْ إليها كريستيفا بعدَ قرونٍ عدَّة، وكانَ الفكرُ النَّقديُّ العربي عرَّفَ هذه الظَّاهِرةَ تعريفيًا معممًا تحتَ مُصطلحِ السَّرقاتِ الشَّعريَّة، ثمَّ تحدَّثَ عن تناولِ ابنِ طباطبا للسَّرقاتِ الشَّعريَّة، وعرضَ لأُمثلةٍ ثلاثةٍ تُشيرُ إلى التَّنَاصِّ، كالسَّرقاتِ الشَّعريَّة، والاقتباسِ، والتَّضمينِ، كما أشارَ إلى إسهاماتِ ابنِ رشيقي القيرواني في البحثِ المتعلِّقِ بنظريَّةِ التَّنَاصِّ، وسلَّطَ الضُّوءَ على النَّاقدِينَ التُّونِسِيِّينَ (حازم القرطاجي، وابنِ خلدون) كناقدينَ أصلاً لنظريَّةِ التَّنَاصِّ، وبحثاها كمضمونٍ دونَ المصطلحِ الَّذِي وضعته كريستيفا حديثًا، وتحدَّثَ مُرتاضُ عن إسهاماتِ النُّقَّادِ العربِ المعاصرينَ في الحديثِ عن نظريَّةِ النَّصِّ وعلاقتهِ بالتَّنَاصِّ، مُشيرًا إلى النَّاقدِ السَّعودي (عبدُ الله الغدامي) كواحدٍ من أهمِّ المتحدِّثينَ في نظريَّةِ النَّصِّ وعلاقتهِ بالتَّنَاصِّ في كتابه (الخطيئة والتَّكفير) الصَّادرِ عامَ 1985م.¹³

أمَّا النَّاقدُ المغربي (محمَّد مِفتاح) فقد تناولَ التَّنَاصَّ في كتابه (استراتيجيَّة التَّنَاصِّ) الَّذِي ألَّفه عامَ 1985م، ويركِّزُ مِفتاحُ على مفهومِ التَّنَاصِّ من خلالِ عرضِ التَّعريفاتِ الَّتِي تناولها سابقوه من النُّقَّادِ، ويُشيرُ إلى التَّعريفِ الأصوبِ للنَّصِّ حسبَ رأيه

بأنه: (حدثٌ كلاميٌّ ذو وظائفٍ متعدّدة)، ويعرضه بتفاصيله كما عرضته كريستينا مع الإشارة إلى آراء (أرفيه، لورانت، وريفاتير)، ثمّ يعرف التّناصّ كتعريف كريستينا له بقوله: (تعانقُ نصوصٍ متعدّدةٍ مع نصٍّ حدّثَ بكيفيّاتٍ مختلفةٍ)¹⁴.

2.4: أنواع التّناصّ

تعدّ أنواع التّناصّ مُنبثقةً عن قسميه الأساسيين: التّناصّ المباشر، والتّناصّ غير المباشر، وقد جاءت أنواع التّناصّ المباشر متعدّدة، كاللّناصّ الدّيني، واللّناصّ الأدبي، واللّناصّ التّاريخي، واللّناصّ التّراثي (الشّعبي)، واللّناصّ الأسطوري، وغيرها، أمّا القسم الثّاني فهو التّناصّ غير المباشر فيشتمل على الألفاظ والمعاني، واللّغة والأسلوب، فقد يتعمّد شاعرٌ اختيار ألفاظٍ مُعيّنة تناوّلها شاعرٌ آخر، وجعلها مُتداولةً في شعره، وكذلك المعاني التي اختارها الشّاعر السّابق، وتناولها الشّاعر اللاحق في ثنايا قصائده بشكلٍ مُنفرد.¹⁵

5.2: أنواع التّناصّ المُباشر

1. التّناصّ الدّيني: ويعني تداخل نصوصٍ دينيّةٍ حاضرةٍ مع نصوصٍ غائبةٍ شعراً أو نثراً بالاقتباس أو الاستشهاد أو التّضمن، وهذه النّصوص الغائبة التي يتمّ استحضارها ضمن النّصّ الحاضر، إمّا أن تكون نصوصاً من القرآن الكريم، أو من الحديث النبوي الشريف، وعدّ بعض النّقاد أنّ الأقوال المأثورة عن الصّحابة والتّابعين، من التّناصّ الدّيني.¹⁶
2. التّناصّ الأدبي: ويعني التّداخل النّصّي الذي يتناول فيه الشّعراء المتقدّمون نصوصاً سابقةً لهم أو لغيرهم من الشّعراء السّابقين لهم، سواءً بامتصاصها أو تحويلها أو قلبها، ودمجها مع نصوصهم بهدف تدعيم نصوصهم الشعريّة وإحياء النّصوص السابقة، مع بيان التأثير والتأثير، وقد تأتي النّصوص اللاحقة أقوى من السابقة، أو تُشبهها.¹⁷
3. التّناصّ التّاريخي: ويُقصدُ به انتقاء نصوصٍ تاريخيّةٍ تتعلّق بشخصيّاتٍ أو أحداثٍ أو مواقف مؤثّرةٍ ومرتبطةٍ بتغيّراتٍ مهمّةٍ تحدث في المجتمعات، فيكون لها أثرٌ مستمرٌّ على أجيالٍ مُتعاقبة، وهذه الأحداث والشّخصيّات والمواقف ترتبطُ تاريخياً بحُقبٍ محدّدة، لها أثرها ووقعها على حياة النّاس، ممّا يجعل الشّعراء يُرسّخوا هذه الأحداث والشّخصيّات والمواقف في أذهان الأجيال اللاحقة من أجل استلهاهم تلك التّجربة وصياغتها من جديدٍ في نصوصٍ حديثةٍ هدفها الدّعوة إلى تكرار تلك التّجربة.¹⁸
4. التّناصّ التّراثي (الشّعبي): ويُقصدُ به إعادة إحياء عباراتٍ تراثيّةٍ أو مشاهدٍ أو استدعاء شخصيّاتٍ تراثيّةٍ، أو زُجماً الإشارة إلى أهازيجٍ وأناشيدٍ ومواسمٍ، ورُجماً أدواتٍ تراثيّةٍ استخدمها أجدادنا الأوائل، ويتمثّل بالأمثال، والقصص الشعبيّة، والحكايات.¹⁹
5. التّناصّ الأسطوري: يُعرفُ النّاقِدُ أنس داود الأسطورة بأنّها: (مجموعةٌ من الحكايات الطّريقة المتوارثة من أقدم العُهود الحافلة بضروب الخوارق والمعجزات التي يختلط فيها الواقعُ بالخيال، ويمتزج عالمُ الظّواهر من إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ ومظاهرٍ طبيعيّةٍ بعالمٍ ما وراء الطّبيعة من قوَى غيبيّةٍ اعتقد الإنسان بالوهيّيّة، وقُدسيّتها).²⁰

3. يُوسُفُ النّبّهاني.

نَبَذَهُ عَنْ حَيَاتِهِ: هُوَ الشَّيْخُ يَوْسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّبَهَانِي، شَاعِرٌ، وَوَاعِظٌ، وَقَاضٍ، مِنْ قَبِيلَةِ نَبَهَانَ أَوْ (بَنِي نَبَهَانَ) الَّتِي كَانَتْ تَنْتَشِرُ فِي بَادِيَةِ فِلَسْطِينَ، ثُمَّ رَحَلَتْ وَاسْتَقَرَّتْ فِي شِمَالِ فِلَسْطِينَ، وَتَحْدِيدًا فِي قَرْيَةِ (إِجْزَم) مِنْ قَرْيَةِ مَدِينَةِ حَيْفَا، وَقَدْ وُلِدَ النَّبَهَانِي فِيهَا عَامَ 1849م، وَنَشَأَ وَتَرَعَرَ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ شَابًّا بَعْدَ تَلْقَائِهِ الْعِلْمَ فِي الْكُتَّابِ، وَقَدْ لَاحَظَ وَالِدُهُ إِسْمَاعِيلُ النَّبَهَانِي نَبُوغَهُ فَأَرْسَلَهُ لِدِرَاسَةِ عُلُومِ الْقُرْآنِ فِي الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ سَنَةَ 1283هـ، وَحِينَ أَتَمَّ دِرَاسَتَهُ وَأَصْبَحَ قَاضِيًا سَنَةَ 1289هـ، انْتَقَلَ إِلَى الْأَسْتَانَةِ عَاصِمَةِ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَهَنَّاكَ عَمَلٌ مُحَرَّرًا فِي جَرِيدَةِ (الْجَوَائِبِ)، وَبَعْدَ إِنْجَازِ عَمَلِهِ فِي الْجَرِيدَةِ عَامَ 1296هـ؛ عَادَ إِلَى الشَّامِ، وَاسْتَقَرَّ فِي بَيْرُوتَ، وَفِيهَا عَمِلَ قَاضِيًا فِي مُحْكَمَةِ الْحَقُوقِ، ثُمَّ رَئِيسًا لِلْمُحْكَمَةِ عَامَ 1305هـ، ثُمَّ أَتَمَّ خِدْمَتَهُ فِي سُلُوكِ الْقَضَاءِ فِي بَيْرُوتَ، وَسَافَرَ إِلَى الْحِجَازِ لِلْحَجِّ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ (إِجْزَم) وَبَقِيَ فِيهَا وَاعِظًا إِلَى أَنْ مَاتَ وَدُفِنَ فِيهَا سَنَةَ 1350هـ، الْمَوْافِقَ 1932م²¹.

كَتَبَ النَّبَهَانِي الْعَدِيدَ مِنَ الْكُتُبِ فِي التَّصَوُّفِ، إِلَى جَانِبِ قِصَائِدِهِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ □ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَمِنْ أَشْهَرِ كُتُبِهِ: الْمَجْمُوعَةُ النَّبَهَانِيَّةُ فِي الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ، الْفَتْحُ الْكَبِيرُ فِي ضَمِّ الزِّيَادَةِ إِلَى الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (فِي الْحَدِيثِ)، الْإِسْتَعَانَةُ الْكَبْرَى بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَغَيْرَهَا²².

4. مَشَاهِدُ مِنَ التَّنَاصِ الدِّينِيِّ فِي شِعْرِ يَوْسُفَ النَّبَهَانِي حَسَبَ مَصَادِرِهِ الْفِكْرِيَّةِ:

يُعَدُّ الشَّعْرُ الصُّوفِيُّ مِنَ الشَّعْرِ الدِّينِيِّ فَيَنْدَرُجُ ضِمْنَ التَّنَاصِ الدِّينِيِّ، إِذْ يَتَنَاصُ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ. وَسَنَذَكُرُ هُنَا لِلتَّنَاصِ الدِّينِيِّ فِي الشَّعْرِ الصُّوفِيِّ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الْوَاردِ فِي شِعْرِ يَوْسُفَ النَّبَهَانِي .

1.4: التَّنَاصُ الدِّينِيُّ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: تَكَادُ قِصَائِدُ النَّبَهَانِي تَكُونُ نَقْلًا شَعْرِيًّا لَمَّا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ كَثِيرٍ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَخَاصَّةً تِلْكَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ، وَيَتَخَلَّلُ ذَلِكَ الْإِجْلَالُ وَالتَّعْظِيمُ وَالتَّذَلُّلُ وَالبُكَاءُ، مِمَّا يَجْعَلُ تِلْكَ الْقِصَائِدَ لَوْحَاتٍ بُكَائِيَّةً.

وَنَعْرُضُ هُنَا لِلْمَشَاهِدِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا النَّبَهَانِي فِي شِعْرِ الْمَدِيحِ مُتَنَاصًا بِهَا مَعَ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ تَفْسِيرِهَا، وَهَذَا التَّنَاصُ الدِّينِيُّ الْبَارِزُ فِي هَذِهِ الْمَشَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ الْمَدْحِيَّةِ، جَاءَ عَمِيقًا وَدَقِيقًا فِي أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ مِنْ خِلَالِ الْمَشَاهِدِ الْآتِيَةِ:

المشهد الأول: يَتَنَاصُ فِيهِ النَّبَهَانِي مَعَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، إِذْ قَالَ:

اللَّهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ اللَّهُ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ

اللَّهُ يَا قَوِيُّ يَا قَدِيمُ اللَّهُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ

لَا يَنْبَغِي لِلْقَوْمِ أَنْ يَغْلُوبُوا²³

فَقَدْ تَنَاصَ مَعَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ فِي عَجْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ: (اللَّهُ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ)، فَهُوَ يَذْكُرُ بِفَاتِحَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"²⁴، فَقَدْ وَرَدَ التَّنَاصُ فِي الدُّعَاءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْآيَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ"، فَقَدْ رُبطَ بَيْنَ صِفَتَيْنِ دَائِمَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، مُتَّصِلَتَيْنِ بَعْضُهُمَا، فَاللَّهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا، وَهُوَ الْقَيُّوْمُ عَلَى تَخْلُوقَاتِهِ بِالْخَلْقِ وَالْإِنْفَاءِ، أَيْ بِالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَهَذَا الدُّعَاءُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْعِيَةِ الَّتِي يَدْعُو بِهَا الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ، وَيُكثِّرُ الْمُتَصَوِّفُونَ مِنْهَا، طَمَعًا فِي النَّجَاةِ وَالثَّوَابِ وَالرِّضَا.

المشهد الثاني: وفي هذا المشهد يتناصُّ مع آياتٍ متعدّدة، مذكّرًا بها، إذ يقول:
 اللَّهُ يَا وَرِاثُ أَنْتَ الْأَبَدُ اللَّهُ يَا بَاعِثُ أَنْتَ الْأَحَدُ
 يَا مَالِكَ الْمُلْكِ الْإِلَهَ الصَّمَدِ لَا كُفُوَ لَا وَلَدٌ لَا وَلَدٌ
 كُفَّ الْعِدَا عَنَّا فَقَدْ أُؤْذِينَا²⁵

فقد ورد التناصُّ هنا في مشهدٍ ذي أربع شُعَبٍ، في البيتِ الأوّل تناصّان، وفي البيتِ الثّاني تناصّان، فقد تناصَّ في قوله: (اللَّهُ يَا وَرِاثُ أَنْتَ الْأَبَدُ) مع الآية في سورة الحديد، في قوله تعالى: "وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"²⁶، فالتنصُّص بين صدر البيت الأوّل وقوله تعالى: "وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"، فهو تأكيدٌ على ما جاء في هذه الآية من أنَّ الله الوارث للأبد، وهو الَّذي يميّثُ المخلوقات الحيّة جميعها، ويرثها، فهو يرث الأرض ومن عليها، وهذه المقدّمة للدّعاء من تعظيم الإله قبل الطلّب والرّجاء منه، ولم يكتفِ النّبّهاني بهذا التّعظيم فحسب قبل طلبه ودعائه، بل تناصَّ مع آية أخرى في سورة الحج في قوله تعالى: "أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ"²⁷، يستطرّد في تعظيم الله عزَّ وجلَّ قبل دعائه تذلُّلاً له، فيقول متناصِّاً مع الآية السّابقة: (اللَّهُ يَا بَاعِثُ أَنْتَ الْأَحَدُ)، فالله يبعثُ النَّاسَ والمخلوقات الحيّة يوم القيامة واحداً واحداً، للحساب، وهو يوم القيامة العظيم، ويبقى هو الأحَد الفرد الصَّمَدُ أَمَامَ الجُمُوعِ كلّها. أمّا التنصُّص الثّالث في صدر البيت الثّاني والذي قال فيه النّبّهاني: (يَا مَالِكَ الْمُلْكِ الْإِلَهَ الصَّمَدِ) فقد تناصَّ به مع الآية القرآنيّة في سورة آل عمران، في قوله تعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"²⁸، فهنا التنصُّص جاء للتذكير بالله الَّذي يملك كلَّ شيء، ويملك رقاب الملوك والمالكيين كلّهم، وهو تعظيمٌ له قبل الطلّب والدّعاء، فالمالك لكلِّ شيء، هو المعطي لكلِّ شيء، ولا ينبغي لأحدٍ أن يطلب من غيره.

أمّا التنصُّص في عجز البيت الثّاني في قول النّبّهاني: (لَا كُفُوَ لَا وَلَدٌ لَا وَلَدٌ)، فقد تناصَّ بهذه العبارة مع سورة كاملة، سورة عظيمة، هي سورة الإخلاص الّتي تؤكّد على حقِّ الرُّبُوبِيَّةِ والألوهيّة، والفرديّة، في قوله تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)"²⁹ فقد تناصَّ في عبارته قبل الدّعاء مع آيات سورة الإخلاص الّتي تُعدُّ من السُّور السّبع المنجّيات، ففيها تأكيد الانفراد بالعبوديّة لله وحده، والدّعوة الصّريحه بعدم الشّرك بالله، فهو واحدٌ أحدٌ، لا والدٌ له ولا ولدٌ، ولا معادلٌ له، ولا شبيهة، فذلك القطع والجرم والتّصريحُ بعبارة التّوحيد.

2.4: التنصُّص الدّيني مع السّنة النّبويّة المُطهّرة: أكثر النّبّهاني من المديح الإلهي والنّبوي، وقد حرص أن يذكر إشاراتٍ من أحاديث الرّسول ﷺ، وركّز كثيراً على الصّفات والأخلاق، ودمج بين مدح الله تعالى ومدح رسوله ﷺ والتّكرار في الصّفات الدّالة على القُدرات، فكان التنصُّص الدّيني في شعره مع أحاديث رسول الله ﷺ تناصّاً إحيائياً من جهة، وتذكيرياً من جهة أخرى. ومن مشاهد التنصُّص الدّيني مع أحاديث رسول الله ﷺ، ما يلي:

المشهد الأوّل: ما ذكره النّبّهاني داعياً الله عزَّ وجلَّ، ومتشفّعاً برسوله ﷺ ليجمع الحَبِيبَ معاً، حبَّ الله تعالى، وحبَّ رسوله ﷺ، إذ قال:

أَنَا فِي الدَّارَيْنِ أَبْغِي رَشْدِي مِنْكَ فِي الدُّنْيَا فِي دَارِ الْقَرَارِ
لَا تُخَصِّصْنِي بِخَيْرِ سَيِّدِي عَمَّ أَهْلِي وَأَحِينَا مِنْكَ الْجَوَارِ
وَأَبْخَنَا مِنْ حِمَاكُم كَنَفًا وَاقِيَا مِنْ شَرِّ كُلِّ الْفِتَنِ
حَسْبُنَا اللَّهُ إِلَهًا وَكَفَى بِكَ لِلْمَحْسُوبِ أَقْوَى رُكْنٌ³⁰

فقد تناص في البيت الأول مع أحاديث عديدة تناولت الترغيب بالآخرة، والترهيب من الدنيا، قاصداً من وراء هذا التناص التذكير المستمر بتلك الأحاديث، والتأكيد على أهميتها، ومن تلك الأحاديث، قول رسول الله ﷺ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)³¹، فالتنصُّص هنا في ذكر الدارين، والرجاء من الله تعالى أن يُرشدَهُ إلى معرفة الفائدة المرجوةَ مِنْهُمَا، وجاء الحديث المرشدُ إلى ذلك باعتبار الدنيا سجن المؤمن، والآخرة — وهي دار القرار — سجن الكافر، والعكس صحيح، أي أن الدنيا جنة الكافر، والآخرة جنة المؤمن، وهذا ما أرشد إلى التعريف بالدارين بدقة وعناية.

المشهد الثاني: في البيت الثالث فقد تناص به الشاعر النبّهاني في قوله:

وَأَبْخَنَا مِنْ حِمَاكُم كَنَفًا وَاقِيَا مِنْ شَرِّ كُلِّ الْفِتَنِ

مع حديث رسول الله ﷺ المتعلق بالفتن الدنيوية الكثيرة، وهنا يدعو الشاعر الله أن يحفظه من شرّ الفتن ما ظهر منها وما بطن، وهذا دعاء مأثور عن رسول الله ﷺ، إذ قال: (سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَشَرَّفَ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُدْ بِهِ)³²، فإشارته النبّهاني إلى الفتن للاستعاذة منها، والدعاء بطلب الحماية، يدلُّ على خطورة هذه الفتن، وجاء التنصُّص بين الحديث وبين الشعر من خلال مفردة (الفتن) التي وردت في أحاديث عدّة، وتنصَّص الشاعر بها مع هذه الأحاديث، وخاصةً الحديث الذي حدّر من الفتن وخطورتها على واقع الإنسان قاعداً أو قائماً أو ماشياً أو ساعياً، ثم يأتي الإرشاد والوصية بالابتعاد عنها والاستعاذة من شرّها وخطورتها.

المشهد الثالث: في البيت الرابع يحتسب الشاعر أمره وأهله لله تعالى، ويكتفي بذلك؛ إذ يقول:

حَسْبُنَا اللَّهُ إِلَهًا وَكَفَى بِكَ لِلْمَحْسُوبِ أَقْوَى رُكْنٌ

وهذا البيت من الشعر تناص به الشاعر مع حديث رسول الله ﷺ الذي يحثُّ على احتساب الأمر لله، وتوكيل المسلم نفسه لله تعالى الهادي والمرشد والمنقذ، فقد روى أحمد بن حنبل عن رسول الله ﷺ قال: (كَيْفَ أَنْعُمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى السَّمْعَ مَتَى يُؤْمَرُ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)³³.

فقد بين التنصُّص بين البيت الشعري والحديث النبوي الشريف أهمية عبارة (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)، وأهميتها الدعاء بهذه العبارة؛ لأنّها تكفي الداعي بما كفاية تامّة من حيث الحماية، والأمن، والنصرة، فهي تُقال في حال التعرُّض لخطرٍ سواء كان الخطر من الأعداء أو من مخلوقات الله التي تأتمر بأمر الله تعالى، في الطبيعة والكون، وما صاحب القرن — وهو الملك الموكل إليه التفخ في البوق يوم القيامة — إلا واحداً من هؤلاء الذين يتحركون بأوامر الله عز وجل، وبذلك يكون الأمر نافذاً بخبره وشره، فإن كان خيراً قيل: الحمد لله رب العالمين، وإن كان شراً قيل: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

المشهد الرابع: مشهد المديح النبوي التابع من التعمق في حب الرسول ﷺ، وجعله أقرب المقرئين من الله عز وجل، إذ يقول النبي ﷺ: النِّبْهَانِي فِي حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ وَمَدْحِهِ:

هُوَ سُلْطَانُ النَّاسِ الْكَرَامِ
فَهُمْ نُوَابُهُ بَيْنَ الْأَنَامِ
إِنَّمَا الدَّهْرُ لَهُ مِثْلُ الْعِلَامِ
وَعَلَيْهِمْ أُخِذَتْ لِلَّهِ الْعُهُودُ
نُشِرَتْ فِيهِمْ لِعَلِيَّاهُ الْبُنُودُ
كَمْ لَهُ عَبْدٌ عَلَى اللَّهِ يَسُودُ³⁴

ففي الأبيات السابقة يتناصُّ النبّهاني في مدحه لرسول الله ﷺ وذكره لمكانته بين الرُّسل، وكيف أنَّ الله عزَّ وجلَّ جعله سيِّدَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، يتناصُّ بذلك مع أحاديثٍ عديدةٍ وردَّت عنه ﷺ في التعريفِ بنفسه، وما خصَّه الله به من مكانةٍ رفيعةٍ، ومقامٍ محمودٍ، ومنزلةٍ عُليا، ومن تلك الأحاديثِ ما رواه ابنُ ماجة عن أبي سعيدٍ الخدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: (أنا سيِّدُ ولدِ آدَمَ ولا فخر، وأنا أوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ الأرضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولا فخر، وأنا أوَّلُ شافعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ ولا فخر، ولِوَأَ الحَمْدُ بيدي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولا فخر)³⁵، فكلمةُ سُلطانِ الواردةِ في البيتِ الأوَّلِ تناصَّت بمعناها مع الحديثِ الَّذي بيَّن فيه رسولُ الله ﷺ فضلُه يَوْمَ الْقِيَامَةِ بما أعلمه به ربُّه، فهو سيِّدُ البشري، وأوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الأرضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وهو أوَّلُ مَنْ يَتَشَفَّعُ لَأَمَّتِهِ، وكذلك كلمةُ (يسودُّ) في آخرِ بيتٍ أكَّدَتْ على هذا التَّنَاصُّ، وفي البيتِ الثَّاني كلمةُ (لِعلياء) كذلك دالَّةٌ على تلكِ المكانةِ بلا فخر.

أَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي فَجَاءَ التَّنَاصُّ فِيهِ يَتَعَلَّقُ بِعَهْدِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي جَاءَتْ فِي قَوْلِ النَّبْهَانِي: (وَعَلَيْهِمْ أُخِذَتْ لِلَّهِ الْعُهُودُ)، وَهِيَ الْعُهُودُ الَّتِي تَعَاهَدُوا بِهَا لِلَّهِ أَنْ يُعْلَمُوا أَقْوَامُهُمْ بِالْإِيمَانِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ"³⁶، فِيهِ الْآيَةُ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ تَرَمَّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ بِالتَّصَدِيقِ الْجَازِمِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْعَمَلُ عَلَىٰ نُصْرَتِهِ وَتَبْلِيغِ أَقْوَامِهِمْ بِقُدُومِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا —: (لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ، وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَىٰ قَوْمِهِ لِيُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَيْسَ بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءَ لِيَنْصُرُنَّهُ)³⁷، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَتَّفَقُ مَعَ أَحَادِيثَ ذَكَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاءً عَلَيْهَا، نَذَرْتُ مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنِ الْعَرِيضِ بْنِ سَارِيَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ —، قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَٰلِكَ: دَعَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةَ عِيسَى قَوْمِهِ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَكَذَٰلِكَ تَرَى أُمَمَاتِ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)³⁸، فَهَذِهِ الْإِشَارَاتُ النَّبَوِيَّةُ الْمُرْتَبِطَةُ بِالْآيَةِ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ وَنُبُوَّتِهِ، فَهُوَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ آدَمَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ دَعَا إِبْرَاهِيمَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِشَارَةُ عِيسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرُؤْيَا أُمِّهِ، وَكَذَٰلِكَ مَا دَلَّتْ عَلَى وَلَادَتِهِ الْمَعْجَزَاتُ، وَالْإِشَارَاتُ الطَّبِيعِيَّةُ، وَهَذَا كُلُّهُ تَنَاصَّ بِهِ الشَّاعِرُ مَعَ الْآيَاتِ كَاشِفَا تِلْكَ الدَّلَائِلِ الدَّامِغَةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَثَبَاتِ رِسَالَتِهِ ﷺ.

المشهد الخامس: يتناول فيه رثاء أولياء الله الصالحين، فقد تناول رثاءهم في قصائد عدة، مُتحدثًا عن أكثر الصالحين في زمانه ممن عاشهم وجالسهم وهو محي الدين بن العربي ، إذ قال في رثائه:

يَا نَسِيمًا سَرَى إِلَى قَاسِيُونَا حَيَّ حَبْرًا بِسَفْحِهِ مَدْفُونَا
ذَلِكَ الْحَاتِمِي مَوْلَايَ مُحْيِي الدِّينِ أَكْرَمَ بِهِ إِمَامًا أَمِينَا
أَحْمَدُ اللَّهِ أَنْ حَبَانِي حُبًّا وَاعْتِقَادًا بِسَادَتِي الْعَارِفِينَا
رَضِيَ اللَّهُ وَالنَّبِيُّ وَأَهْلُ الْحَقِّ عَنْهُمْ، وَمَنْ بِهِمْ يَقْتَدُونَا
فَاقْصُدُوهُمْ وَلَوْ بِشَدِّ رِحَالٍ وَارْتِحَالٍ، يَا أَيُّهَا الزَّائِرُونَا
فَهُمْ خَيْرُ مَعَشَرٍ عَرَفَ اللَّهُ فَكَانُوا لِحَلَقِهِ مُرْشِدِينَا³⁹

يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ النَّبْهَانِي فِي رِثَائِهِ لَذَلِكَ الْوَلِي، مَبِينًا حُبَّهُ لَهُ وَلَمْ يَسِيرْ عَلَى دَرِيهِ، فَقَدْ تَنَاصَّ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ مَعَ أَحَادِيثَ عَدِيدَةٍ، ذَكَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَ حُبِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَفِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ مِنْ بَيْنِ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ نُلاحِظُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ تَنَاصَّ فِي مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ وَلَفْظِهِ مَعَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحُبِّ عَلَى حُبِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)⁴⁰.

فَفِي الْحَدِيثِ بَيَانٌ وَاضِحٌ عَلَى أَهْمِيَّةِ التَّحَابُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى، فَحُبُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ مِنْ سُنَّةِ الْأَوَّلِينَ، وَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الْمَرْءَ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَخَيْرُ الْحَبِّ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ حُبُّ رَسُولِهِ ﷺ، فَالصَّحَابَةُ الْأَكْرَامُ رُضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ حُبُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَالْبَيْتُ الَّذِي تَنَاصَّ بِهِ النَّبْهَانِي مَعَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُوَ قَوْلُهُ

أَحْمَدُ اللَّهِ أَنْ حَبَانِي حُبًّا وَاعْتِقَادًا بِسَادَتِي الْعَارِفِينَا

فَهُوَ يَحُبُّ سَادَتَهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَالْعَارِفِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى خَيْرَ الْمَعْرِفَةِ. وَالْإِشَارَةُ إِلَى حُبِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ بَيْنَ الْبَيْتِ السَّابِقِ، وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ جَاءَ تَنَاصًّا لَفْظِيًّا وَمَعْنَوِيًّا، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْمَشْهُدُ وَاضِحًا، وَمَا تَلَاهُ أَوْ سَبَقَهُ مِنْ أَبْيَاتٍ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْحُبِّ وَالْمَدْحِ الْجَزِيلِ.

5. الخاتمة

خُلَاصَةُ الْقَوْلِ فِي التَّنَاصِّ الدِّينِيِّ فِي شِعْرِ النَّبْهَانِي أَنَّ النَّبْهَانِي تَنَاوَلَ الشَّعْرَ الدِّينِي وَتَحْدِيدًا الْمَدِيحَ الْإِلَهِي وَالنَّبَوِي مِنْ جَوَانِبِهِ جَمِيعَهَا بَدْءًا مِنْ مَدِيحِهِ لِلَّهِ، ثُمَّ مَدِيحِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا فِي مَجْمُوعَةٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ أَرْبَعَةِ مَجْلَدَاتٍ جَمَعَ فِيهَا الْمَدَائِحَ النَّبَوِيَّةَ الَّتِي نَسَجَهَا الشُّعْرَاءُ عَبْرَ التَّارِيخِ حَتَّى عَصْرِهِ، وَانْتِهَاءَ بِمَدْحِهِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَرِثَائِهِمْ، فَكَانَ شَعْرُهُ مَلِيًّا بِعِبَارَاتِ الْمَدِيحِ وَالشَّنَاءِ الَّتِي تَنَاصَّتْ مَعَ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَحَادِيثِ رَسُولِهِ ﷺ، وَتَنَاوَلَتْ كَثِيرًا مِنَ الْإِشَارَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَالنَّبَوِيَّةِ فِي الْمَدِيحِ الْإِلَهِي وَالنَّبَوِي، وَلَا أَكَادُ أَذْكَرُ أَحَدًا تَنَاوَلَ التَّنَاصَّ الدِّينِي فِي شِعْرِ يَوْسُفَ النَّبْهَانِي، وَلَا أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّنَاصِّ، لَذَلِكَ كَانَ الْعَزْمُ أَنْ أَتَنَاوَلَهُ فِي دِرَاسَتِي الْجَزْئِيَّةِ الْبَحْثِيَّةِ هَذِهِ الْمَوْسُومَةِ بِالتَّنَاصِّ الدِّينِيِّ فِي شِعْرِ يَوْسُفَ النَّبْهَانِي، مَرَكُزًا عَلَى غَرَضِ الْمَدِيحِ لِلَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ، وَمَدْحِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَرِثَائِهِمْ لِأَنَّ شَاعِرَنَا مُتَعَمِّقًا فِي حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ، وَحُبِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ

خُلِصَتْ الدِّرَاسَةُ إِلَى النَّتَائِجِ التَّالِيَةِ:

1. اخْتَصَرْتُ خُلَاصَةَ الْحَدِيثِ عَنِ التَّنَاصِّ وَأَنْوَاعِهِ.
2. تَنَاوَلْتُ حَيَاةَ الشَّاعِرِ يَوْسُفَ النَّبْهَانِي بِإِيجَازٍ شَافٍ وَوَافٍ.
3. رَكَّزْتُ عَلَى التَّنَاصِّ الدِّينِيِّ كَنُوعٍ كَثُرَ فِي شِعْرِ النَّبْهَانِي الْعَزِيزِ، خَاصَّةً فِي الْمَدِيحِ.

4. أجابت الدراسة عن السؤال المطروح أعلاه بأن التناسل الديني من أكثر أنواع التناسل انتشاراً في الشعر وخاصة المديح، الذي أكثر منه الشاعر يوسف النبهاني.

ورغم أن الدراسة عملت على الكشف عن مشاهد التناسل الديني في شعر يوسف النبهاني إلا أنها لم تقم بتغطية هذا النوع من التناسل في قصائده الغزيرة، مما يتطلب قيام باحثين آخرين بتناوله في شعر النبهاني، وإبراز هذا النوع المهم؛ وخاصة في المديح الإلهي والنبوي، ومدح أولياء الله الصالحين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المؤلفات العربية (الكتب)

القرآن الكريم بالرسم العثماني.

1. أحمد بن حنبل. المسند. الجزان: 28+32. تحقيق: أبو المعاطي الثوري، عالم الكتب، بيروت. ط1. 1998.
2. ابن ماجة، أبو عبد الله. صحيح ابن ماجة. تحقيق: الألباني. مكتبة المعارف. الرياض. ط1. 1417هـ.
3. رضا، محمد رشيد. تفسير المنار. جزء3. منشورات دار المنار. القاهرة. ط3. 1947.
4. الرُّعَبي، أحمد. التناسل نظرياً وتطبيقاً. مؤسسة عمون للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ط2. 2000.
5. داود، أنس. الأسطورة في الشعر المعاصر، مكتبة عين شمس، القاهرة-مصر، د.ط. 1975.
6. السعدني، مصطفى. المدخل اللغوي في نقد الشعر (قراءة بنيوية). دار المعارف، الإسكندرية. د.ط. 1987.
7. الفاسي، عبد الحفيظ بن محمد الطاهر. معجم الشيوخ. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2003.
8. فضل، صلاح. مناهج النقد المعاصر. ميريت للنشر والمعلومات. القاهرة. ط1. 2002.
9. كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. جزء4. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط1. 1414هـ-1993.
10. مجاهد، أحمد. أشكال التناسل. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ط1. 1998.
11. مسلم، أبو الحسين. صحيح مسلم. ط: دار طيبة: 2008م.
12. مرناس، عبد المالك. نظرية النص الأدبي. دار هومة للطباعة. الجزائر. ط1. 2007.
13. مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناسل). المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 1985.
14. المناصرة، عز الدين. علم التناسل والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي). الهيئة العامة لقصور الثقافة. شركة الأمل للطباعة والنشر. القاهرة. ط1. 2011.
15. النبهاني، يوسف بن إسماعيل. مجموعة كُتب (الرأية الصغرى في ذم البدعة ومدح الشريعة العزلة). شركة ومطبعة محمد الباقي الحلبي في مصر. ط1. (د.ت).
16. النبهاني، يوسف بن إسماعيل (د.ت). المجموعة النهائية في المدائح النبوية، المجلدان 1+3، مطبعة دار الفكر. بيروت. د.ط.
17. واصل، عصام. التناسل التراثي في الشعر العربي المعاصر (أحمد القواضي أنموذجاً). دار غيداء للنشر والتوزيع. عمان. ط1. 2011.

ثانياً: المقالات العربية

18. الأسدي، عبد الستار. السقفة الأدبية والتأثر (بارت، كريستيفا، باحثين)، مجلة كتابات المعاصرة، بيروت. لبنان. ط1. 1999. ع44. ص66-76.
19. بوترة، الطيب. التناسل في الشعر الجزائري المعاصر، (قراءة في شعر مصطفى العمري). (دراسة). كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران - الجزائر، ط1. (2010-2011).

ثالثاً: المؤلفات الأجنبية

20. Kristeva, Julia. (1991). "The Semiotics of Text," translated by Farid Al-Rahi, Toubkal Publishing House, Casablanca, Morocco, 1st ed.
21. Bakhtin, Mikhail. (1996). "The Dialogical Principle (Tzvetan Todorov)." translated by Fakhri Saleh. Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut. Lebanon. 2nd ed.

22. Aboula Kali, Abdul Rahim Nasser Al-Din. (2023) "Sufi Intertextuality in the Poem of Sheikh Muhammad Al-Nasser bin Al-Mukhtar Al-Kubra (A Linguistic Textual Study)" p. p. . 48-26 Syria, 1st ed.

قائمة الإحالات (الهوامش)

1. السَّعْدِي، مُصْطَفَى. المدخل اللُّغوي في نقد الشُّعْرِ (قراءةً بنيويَّةً). دار المعارف، الإسكندريَّة. د.ط. 1987. ص19.
2. تكرار للنص السابق مع تغييرات بسيطة عليه ليتناسب مع النصِّ اللاحق.
3. تغيير النص السابق بقلبه وتحويله إلى معنى جديد.
4. امتصاص نصوص متعددة إلى داخل النص الشعري الجديد؛ لتشكيل فضاء نصيا متداخلا.
5. كريستيفا، جوليا. علم النص. ترجمة: فريد الراهي. مطبعة طوبقال. كزيلانكا. المغرب. ط1. 1991. ص21-221.
6. الأسدي، عبد الستار. السُّقَّةُ الأدبيَّةُ والتأثير (بارت، كريستيفا، باختين)، مجلَّةُ كتابات المعاصرة، بيروت. لبنان. 1999. مج1. ع44. ص71.
7. فضل، صلاح. مناهج النَّقد المعاصر. ميريت للنشر والمعلومات. القاهرة. ط1. 2002. ص153.
8. السَّعْدِي، مُصْطَفَى. المدخل اللُّغوي في نقد الشُّعْرِ (قراءةً بنيويَّةً). ص19.
9. بوترة، الطَّيِّب. التَّناصُّ في الشُّعْرِ الجزائري المعاصر، (قراءةً في شعرِ مُصْطَفَى العَمَّاري). (دراسة). كليَّةُ الآدابِ واللُّغَاتِ والفنون، جامعة وهران _الجزائر)، ط1. (2010-2011). ص12.
10. كريستيفا، جوليا. علم النص. ترجمة: فريد الراهي. ص78.
11. (باختين، ميخائيل. المبدأ الحوار (تفتان تودوروف). ترجمة: فخري صالح. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. ط2. 1996 ص126)
12. المناصرة، عزُّ الدِّين. علم التَّناصِّ والتَّلاصِّ (نحو منهجٍ عنكبوتيٍّ تفاعلي). الهيئة العامَّةُ لِقُصُورِ الثَّقَافَةِ. شركة الأمل للطباعة والنَّشر. القاهرة. ط1. 2011. ص66-67.
13. مُرتاض، عبد المالك. نظريَّةُ النَّصِّ الأدبي. دارُ هومة للطباعة. الجزائر. ط1. 2007. ص345.
14. مفتاح، محمَّد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التَّناص). المركز الثقافي العربي. الدَّارُ البيضاء. المغرب. ط1. 1985. ص120-121.
15. الرُّعَيْي، أحمد. التناص نظريا وتطبيقيا. مؤسسة عمون للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ط2. 2000. ص11.
16. المصدر نفسه. ص77.
17. (مفتاح، محمد. 1985. مفتاح، محمَّد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التَّناص). ص263.
18. مجاهد، أحمد. أشكال التَّناص. الهيئة المصريَّة العامَّةُ للكتاب. القاهرة. مصر. ط1. 1998. ص19.
19. واصل، عصام. التَّناصُّ الثَّرَائِي في الشُّعْرِ العربي المعاصر (أحمدُ العواضي أُمُودَجَا). دارُ غيداء للنَّشر والتَّوزيع. عمَّان. ط1. 2011. ص22.
20. داود، أنس. الأسطورة في الشُّعْرِ المعاصر، مكتبة عين شمس، القاهرة_مصر، د.ط. 1975. ص19.
21. كحالة، عُمر رضا. مُعْجَمُ المؤلِّفِيْنَ. ج4/ ص145. مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ. بيروت. ط1. 1414 هـ -1993. ص145.
22. الفاسي، عبد الحفيظ بن محمَّد الطَّاهِر. مُعْجَمُ الشُّيُوخ. دارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّة. بيروت. ط1. 2003. ص256.
23. النَّبْهَانِي، يَوْسُفُ بنُ إِسْمَاعِيل. مجموعةُ كُتُبِ (الرَّائِيَّةُ الصُّعْرَى في ذَمِّ البِدْعَةِ ومدحِ الشَّرِيعَةِ العَرَا). شركة ومطبعةُ محمَّدِ البَابِي الحَلْبِي في مِصْرَ. ط1. (د.ت). ص139.
24. سورة البقرة، الآية رقم: 255.
25. النَّبْهَانِي، يَوْسُفُ بنُ إِسْمَاعِيل. مجموعةُ كُتُبِ (الرَّائِيَّةُ الصُّعْرَى في ذَمِّ البِدْعَةِ ومدحِ الشَّرِيعَةِ العَرَا). ص140-141.
26. سورة الحديد، الآية رقم: 10.
27. سورة الحديد، الآية رقم: 7.
28. سورة آل عمران، الآية رقم: 26.
29. سورة الإخلاص.

- ³⁰. النَّبْهَانِي، يَوْسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (د.ت). المَجْمُوعَةُ النَّبْهَانِيَّةُ فِي الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ، مجلد 1، مَطْبَعَةُ دَارِ الْفِكْرِ. بيروت. د.ط. ص 280-288.
- ³¹. مُسْلِمٌ، أَبُو الْحُسَيْنِ. صَحِيحُ مُسْلِمٍ.. ط: دَارُ طَيْبَةِ: 2008. ص 1325.
- ³². الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ. ص 1319.
- ³³. أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. الْمُسْنَدُ. تَحْقِيق: أَبُو الْمَعَاظِي التُّورِي. عَالَمُ الْكُتُب. بيروت. ط 1. 1998. ج 32. ص 91.
- ³⁴. النَّبْهَانِي، يَوْسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (د.ت). المَجْمُوعَةُ النَّبْهَانِيَّةُ فِي الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ، مجلد 1. ص 462-463.
- ³⁵. ابْنُ مَاجَةَ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ. صَحِيحُ ابْنِ مَاجَةَ.. تَحْقِيق: مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِي. مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ. الرِّيَاض. ط 1. 1417 هـ. ص 714.
- ³⁶. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ. الْآيَةُ رَقْم: 81.
- ³⁷. رِضَا، مُحَمَّدٌ رَشِيدٌ. نَفْسِيزُ الْمَنَارِ. مَنَشُورَاتُ دَارِ الْمَنَارِ. الْقَاهِرَةِ. ط 3. 1947. ج 3. ص 288.
- ³⁸. أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. الْمُسْنَدُ. تَحْقِيق: أَبُو الْمَعَاظِي التُّورِي. ج 28. ص 395.
- ³⁹. النَّبْهَانِي، يَوْسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (د.ت). المَجْمُوعَةُ النَّبْهَانِيَّةُ فِي الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ. مجلد 1. ص 449.
- ⁴⁰. مُسْلِمٌ، أَبُو الْحُسَيْنِ. صَحِيحُ مُسْلِمٍ. ص 1219.